سينما

تكريم الجزائرية بيونة

تمثيلٌ يعكس اختبارات

قبل أيام، كُرِّمت المغنية والراقصة والممثلة الجزائرية بايا (بيونة) بوزار، فكانت مناسبة لاستعادة تفاصيل من سيرتها السينمائية تحديداً

عبد الكريم قادري

تشتبك الممثلة الجزائرية بيونة (1952) مع أدوارها السينمائية بعمق. هذا تعكسه أساساً في تحوّلاتها الفيزيائية والجسدية، فيصبح الدور بالنسبة إليها لا شخصية عابرة، ولا فقرة في فيلم خيالي، بل حقيقة ظاهرة وواقعية، تمحو بها الكلمات الجاهزة التي يُطلقها المُشاهد المتذمّر عادة، بقوله إنّ ما تقوم به مجرّد تمثيل، أو تجعله يكرهها لأنّها شريرة في دور ما، تستحق عليه القتل والسحق والانتقام؛ أو يُقدّرها لأنّه أحبّ شخصيّتها ورآها تتوحّد معها. يلعنها مرّات، لأنّها أقنعته بأنّها بائعة هوى.

قِسْ على ذلك في شخصيات وأدوار أخرى، استطاعت بلوغ هذا المستوى من المسؤولية الفنية، انطلاقاً من جدّيتها وحبّها لمهنتها واحترامها الجمهور الجزائري، وكلّ من يحبّ الأفلام ويُشاهدها في العالم.

اشتهرت باية بوزار (اسمها الحقيقي) بتسمية بيونة، تصغير باية، ككنية محبّة أطلقته عليها أسرتها. هذا الاسم السينمائي يظهر مجدّداً، ولو جزئياً، بعد تكريم أعضاء «جمعية قدماء الثقافة والإعلام» لها (20 يونيو/حزيران 2024)، بمنحها وسام الاستحقاق والتميّز، نظير ما قدّمته للسينما والفن عامة، وتكريماً لمسار أكثر من نصف قرن من العمل.

بدايتها التمثيلية حاصلةٌ في دور فاطمة، في المسلسل الجزائري الأشهر «الحريق» (1974) لمصطفى بديع، انطلاقاً من نصّ أدبي للكاتب محمد ديب. قبله، نشطت بيونة في الطرب مغنية «مالوف». تحيي أعراساً وحفلات. لكنّ مشاركتها في «الحريق» غيّرت بوصلتها جدّياً، فبدأ التمثيل بالنسبة إليها يتحوّل من شيءٍ ثانوي إلى عامل أساسي في حياتها. لذا، فإنّ مشاركتها في السينما قوية، مع بدايات مهمة، منذ «ليلى والأخريات» (1977) لسيّد علي مازيف.

بعدها، دخلت بيونة التلفزيون والسينما من أوسع الأبواب. مع الوقت، أصبحت نجمة التلفزيون الأولى في الجزائر، بفضل أدوار كوميدية أدّتها. حتى أنّها تحوّلت إلى عامل نجاح لأي مسلسل أو «سيت كوم» أو سلسلة تشارك فيها. لكنْ، رغم تلك الأضواء التلفزيونية، تبقى الأفلام عشقها الأول، لأنّ السينما فنّ جعلها تتحرّر من كلّ القيود الجسدية والنفسية، فلم تضع حدوداً مسبقة لأيّ دور تؤدّيه، أكان للفيلم محمول ودلالة سياسيان، أو بأدوار جريئة في أفلام عدّة.

شكّلت الشراكة الفنية بينها ممثلةً، ونذير مخناش، مخرجاً سينمائياً جزائرياً مغترباً، قفزة نوعية وهائلة في مساريهما، كما في المدوّنة السينمائية الجزائرية. فمخناش لعب دوراً محورياً في هذه الشراكة، إذْ أحسن إدارتها سينمائياً في ثلاثيّته التي صنعت فارقاً، وأسّست لسينما مختلفة، بدءاً من «حريم السيدة عصمان» (2000)، ثم «فيفا لالجيري» (2004) و«دليس بالوما» (2007). أفلامٌ مُلغّمة برسائل سياسية قاسية، نقلت أوجاع العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر. في الأول، عكست بيونة أوجاع المرأة التي فَقَدت زوجها في تلك المرحلة الدموية، ما جعلها تعيش وضعاً نفسياً صعباً أثّر على ابنتها. ثم أدّت دور مدام ألجريا، التي سُجنت ثلاثة أعوام، ومع خروجها، أصبحت تحلّ مشاكل شخصيات مهمة عدّة، بدءاً من العلاقات التي تملكها. عكست هذه الشخصية الفساد السياسي الذي بلغته الجزائر في عهد الرئيس الأسبق عبد العزيز بوتفليقة (أنتج الفيلم في عهده). امتلأ العمل بتلك الرسائل، إلى حدّ أنّه تمّ منعه في الجزائر بطريقة غير مباشرة.جرأة بيونة لم تنتهِ في الثلاثية، بل تعدّتها إلى أفلام أخرى، كالجزائري الممنوع من العرض أيضاً «في عمري ما زلت أختبأ لأدخّن» (2016) لريحانة، أحد الأفلام الجريئة جداً، الذي عكس معاناة المرأة الجزائرية في العشرية السوداء. في حوار معها، قالت ريحانة إنّ ممثلات عديدات رفضن التمثيل فيه، خوفاً على مصيرهن في بلدهنّ، ما دفعها إلى تصويره في اليونان.

> قوّة أداء تنعكس في تلاعب بيونة وتمكّنها من التمثيل

لم تكن الساحتان السينمائية والتلفزيونية الجزائريتان فضاءً وحيداً انعكس فيه المجهود الفني لبيونة، إذْ امتدّ هذا الإشعاع إلى أعمال في دول أوروبية عدّة، خاصة فرنسا. لذا، فإنّ حضورها بارزٌ في المشهد الفني الفرنسي: «عين النساء» (2011) للفرنسي الروماني رادو ميهالينو، المشارك في الدورة الـ64 (11 . 22 مايو/أيار 2011) لمهرجان «كانّ»؛ و«الشابة لويزة» (2013) للفرنسية فرنسواز شاربيا، إضافة إلى عشرات الأعمال التلفزيونية والسينمائية والمسرحية. تنعكس قوّة بيونة في تلاعبها وتمكّنها من التمثيل، إذْ يُمكنها تأدية أي شخصية بمقدرة. أي أنها لا تلزم نفسها بشكل تمثيلي واحد، لهذا تتلاعب بالأدوار الكوميدية والدرامية والتراجيدية، وحتى أدوار شخصيات الشرّ والرعب بكل سهولة. تتنقل من حالةٍ نفسية إلى أخرى من دون تعقيد، وهذا جعلها ممثلة كبيرة، تتألق مع أي دور . شخصية من دون بذل مجهود ظاهر يُمكن أنْ يذهب بمصداقيتها. بالتالي، بإمكانها أنْ ترسم وتشتبك مع أدوارها بكل حرفية، وأنْ تتواصل بها مع جمهورها. وهذا ربما يعود إلى الخلفية الفنية التي تمتلكها، إذْ تنقّلت بين الغناء والعزف وتسيير الفرق الفنية، والاحتكاك المتواصل بالتلفزيون والسينما والمسرح، ما جعلها تمتلك أدوات كلّ فن وإمكاناته، إضافة الى احتكاكها بممثلين محليين وأجانب بشكل مستمر.

هذه معطيات ساهمت في تراكم خبراتها، وتكوين شخصيتها الفنية، لتكون بتلك المقدرة الفنية التي جعلتها فنانة من الصف الأول.

بيونة: تاقلْم مع اي دور من دون مجهود ظاهر (فريديريك سولوي/Getty)

ميلر: «فوريوسا» والاقتراب من الأنتروبولوجيا

بباريس ـ **العربي الجديد**

«فوريوسا . ملحمة ماد ماكس» (2024)، للأسترالي جورج ميلر (1945)، معروض للمرة الأولى دولياً خارج مسابقة الدورة الـ77 (14 . 25 مايو/أيار 2024) لمهرجان «كانّ». عرضه التجاري الأميركي منطلق في 24 مايو/أيار، بعد يوم واحد فقط على بدء عروضه التجارية الأسترالية. فيلم من 148 دقيقة، تبلغ ميزانيته 168 مليون دولار أميركي، وإيراداته الدولية، بين 22 مايو/ أيار و25 يونيو/حزيران 2024، تساوي 168 مليوناً و76 ألفاً و980 دولارا أميركيا (بوكس أوفيس موجو). في فرنسا، يُعرض في اليوم نفسه لعرضه الأول في «كانّ»، وبين 22 مايو/أيار و19 يونيو/حزيران 2024، يُشاهده 828 ألفاً و705 مشاهدين.

في حوار منشور في «بروميير» (مجلة سينمائية شهرية فرنسية، يونيو/حزيران 2024)، يقول فرنسوا ليجي إنّ «فوريوسا» أول فيلم من ملحمة «ماد ماكس» (ماكس المجنون) «من دون بطلها، ماكس»، المُشارك في Mad Max Beyound Thunderdome (1985، ميلر والأسترالي جورج أوجلْفي) و«ماد ماكس: طريق مجنونة Mad Max: Fury Road» (2015). ثم يسأل ميلر: «أيمكن الاقتناع بأنّك مُنظِّمٌ واعٍ لاختفائه التدريجي»؟ يُجيب الأسترالي: «لا، لا، أبداً. سأقول لك ما الحاصل في هذا. مع «طريق مجنونة»، أروي قصة تدور أحداثها في فترة مقيّدة للغاية، مُحدّدة بثلاثة أيام تقريباً. لكي نتمكّن من التقدّم بسرعة، علينا معرفة كلّ شيءٍ عن هذا العالم: ماضي الشخصيات طبعاً، لكنْ أيضاً كلّ عربة وكلّ إكسسوار وكلّ زيّ وكلّ حركة وكلّ كلمة منطوق بها». يُضيف أنّ هذا عملٌ «يقترب كثيراً من الأنتروبولوجيا»، إذْ عليه تحقيقه مع المُصمّمين والممثلين: «القصة المكتوبة عن فوريوسا تتناول فترة من حياتها تمتدّ 18 عاماً، منذ بلوغها عشرة أعوام: عيشها في «الأرض الخضراء»، ثم خطفها، وتطوّر الأراضي المدمَّرة، إلخ. ماضي فوريوسا يُصبح سيناريو حقيقياً، وذاك الخاص بماكس يتّخذ شكل قصة (The Wasteland، المشروع الجديد . المحرّر). بعد نجاح «طريق مجنونة»، أقول لنفسي إنّ عليّ حتماً إنجاز فيلم ينطلق من النص السينمائي لفوريوسا. ها نحن الآن نتحدّث عنه (يضحك). سؤال الانفصال عن ماكس غير مطروح. إلى ذلك، إنّه هنا، في مكانٍ ما، مخبّأ في الخلفية».

مخبّأ جسدياً أو مجازياً؟ يُجيب ميلر: «يُفهم الأمر عند مشاهدة الفيلم. لكنْ، إنْ تصطف الكواكب، وكلّ شيءٍ يعمل، أحبّ أيضاً سرد حكاية ماكس في العام السابق على أحداث «طريق مجنونة». أتمنّى أنْ تسنح لي الفرصة». لكنْ، أيُمكن القول إنّ هناك جرأة في إعادة إطلاق تلك السلسلة من دون الشخصية الأساسية التي بقيت طويلاً أساسها؟ يقول ميلر: «القصة جيدة إلى حدّ أنّه يجب سردها بكل بساطة. أعطيت سيناريو «فوريوسا» لتشارليز ثيرون لتقرأه قبل «طريق مجنونة» (...). أحبّته كثيراً، وسألتني عمّا إذا يُمكن تصويره قبل الأول. أجبتها: «أمضينا وقتاً طويلاً في تحضير «طريق مجنونة»، وعلينا إنجازه أولاً».

جورج ميلر بين آنيا تايلور جوي وكريس هِمْسورث في كانّ 2024 (استيفان كارديناللي/Getty)

أقوالهم

هناك عنصرية كثيرة في إيطاليا حالياً، لكنّنا نكافح لننفتح على الأجانب. لم أكن متأكّدة من شخصية إيطاليا (كارول دوارتي) في «الوهم». لم أعرف من أين ستأتي. بالنسبة إلي، جاءت من العدم. جيدٌ أنّ تملك شخصاً يحمل اسم إيطاليا، وهي ليست إيطالية حتّى (Getty)

آليتشي رورفاكر

في «أرض الوهم»، هناك بعض من سيرة ذاتية. كلّ شغلي في السينما ينطلق من السيرة الذاتية. الأول عنوانه «الأب» والثاني عن «الأم» والثالث عن «الطفل»، في «ثلاثية العائلة». لكلّها علاقة بحياتي. هذا لا يعني أنّي أعتقد أنّ حياتي مهمة، بل لأنّي لا أعرف، ولا أستطيع التعبير إلا عن أشياء تعنيني وتخصّني (فيسبوك)

كارلوس شاهين

النضال الذي خاضه مدافعون عن صالة «**لا كلي**» (فيسبوك) الباريسية يبشّر بالخير، لحيوية المكان، ولضرورة تواجده، لا سيّما في التحوّلات السياسية التي تعيشها فرنسا. الصالة تقدّم اقتراحات سينمائية متنوّعة، وتوزّع أفلاماً من جغرافيات أخرى. هذا يساهم في صنع وجه باريس الحقيقي، التي تفتح صدرها لكلّ ثقافات العالم.

هدى إبراهيم

أفعالهم

Favoriten وثائقي للنمساوية **روث بيكرمان** (Getty): تجارب يومية لطلاب مدرسة مليئة بالتحدّيات في فيينا. والفيلم يتابعهم أثناء مرورهم في الصفّ الثالث الابتدائي، أي المرحلة المهمة في مساراتهم التعليمية. يتعامل هؤلاء مع مشاكل المدرسة والحياة الشخصية، ويواجهون عقبات كبيرة. مع ذلك، يُظهرون قوة وموهبة يمتلكونهما، عند حصولهم على مساعدة وتحفيز.

Abiding Nowhere وثائقي لتساي مينغ . ليانغ، مع لي كانغ . شينغ و**أنوننغ هونغهوأنغسي** (Getty): الفيلم العاشر في سلسلة أفلام عن راهب بوذي، يمشي ببطءٍ شديد في مناظر طبيعية ريفيةٍ وحضرية، وتدور أحداثه في واشنطن العاصمة. يتحرّك رجل آخر في مواقع مماثلة. تتقاطع الرحلتان المنعزلتان: «فيلمٌ تأمّلي شامل»، كما في وصفٍ نقدي.

A Different Man لآرون شيمبيرغ، تمثيل سيباستيان ستان و**ريناتي راينسْفي** (Getty): إدوارد يبحث عن بداية جديدة. بعد إجرائه جراحة ترميمية لوجهه، أصبح يركّز على الرجل الذي يؤدّي دوره في إنتاج مسرحيّ يعتمد على حياته السابقة.

أخبار

◆ في دورته الـ58 (28 يونيو/ حزيران . 6 يوليو/تموز 2024)، يُكرِّم «مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي» المخرج الأميركي ستيفن سودربيرغ، والممثلين الدنماركي الأميركي فيغو مورتنسن والبريطاني كلايف أوين والألماني الإسباني دانيال برول. وإذْ يُمنح مورتنسن تمثال التكريم في حفلة الافتتاح، فإنّ الآخرين يستلمونها في حفلات لاحقة تُحدّد عشية بدء الدورة الجديدة هذه.

◆ أصدر البحريني حسن حداد كتاباً سينمائياً جديداً له بعنوان «أفلام لا تغادر الذاكرة . الجزء الرابع»، عبر موقعه الإلكتروني «سينماتك (cinematech)»، كتب الزميل العراقي السويدي قيس قاسم مقدّمة له، فيها أنّ حداد يصل إلى السينما العربية في سلسلة كتبه المعنونة بـ«أفلام لا تغادر الذاكرة»، والأجزاء الثلاثة السابقة معنية بأفلام أجنبية، وكلّها أفلام «لجماليات اشتغالها وعمق معالجاتها الإنسانية ترسّخت في ذاكرته». أضاف قاسم: «مثل كل كاتب وناقد سينمائي رصين، يتجنّب حداد الفذلكة اللغوية في كتاباته»، مشيراً إلى أنّه «يذهب مباشرة إلى العمق، رابطاً قراءاته لها بمعارفه وقدرته على تحليل مضامينها وفق ثقافته السينمائية الواسعة»، التي تتجاوز «سطحية التعامل مع المنجز الفيلمي بوصفه وسيلة إمتاع عابر».

◆ بلغت الإيرادات الدولية لفيلم التحريك Inside Out 2، لكَلْسي مان (2024)، 728 مليوناً و993 ألفاً و234 دولاراً أميركياً، بين 14 و23 يونيو/حزيران 2024. علماً أنّ الجزء الأول أخرجه بيت دَكْتر (الذي أصبح منتج الجزء الثاني هذا) عام 2015، وحقّق 858 مليوناً و852 ألفاً و998 دولاراً أميركياً أما حكاية الثاني فتبدأ مع رايلي، المتخرّجة حديثاً، التي باتت مُراهقة الآن، وهذا لا يخلو من اضطرابات كبيرة في «المقرّ الرئيسي»، الذي يجب أنْ يواجِه غير المتوقّع: ظهور المشاعر مجدّداً، كالفرح والحزن والغضب والخوف والاشمئزاز، العاملة سابقاً بنجاح، ولفترة طويلة. مع أصوات آمي بولر ولويس بلاك وليزا لابيرا وتني هايل وغيرهم وغيرهنّ.